المسيح, نبي الإسلام- المتصوف الباطني

كلمة معدة لندوة المنظمة الدولية للتصوف بالقاهرة, مصر,18-20 يناير 2008

ترجمة فريق الترجمة بالجمعية المصرية للبحوث الروحية والثقافية

نبذة

نبعت هذه الكلمة من أخلاقيات الأخُوة الصوفية التي تتطلب منا تقديم الغذاء الروحي للعالم و المساعدة على تعميق الإيمان بجوهر واحد لدى جميع المؤمنين. وعلى الرغم من أن القرآن الكريم يعطي مكانة خاصة لنبي الله عيسى- الذي كان يتحدث باللغة الآرامية- كما أنه يحظي بمكانة خاصة في الأدب الصوفي, إلا أنه غالباً ما يتم إغفال الحكمة الحقيقية لهذا الرسول, والتي يفترض أنها قد طمست عبر قرون من الامتزاج الثقافي وما طرأ خلالها على الكتب المسيحية المقدسة من تغيير. وتقدم لنا هذه الكلمة أكثر من منظور عن كيفية إعادة تغطية بعض الرسائل الأصلية للمسيحية و التي تمت الإشارة إليها في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وذلك باستخدام مناهج لتفسير ما هو تقليدي ونقله لكلاً من التصوف والتصوف اليهودي. و يتم تطبيق هذه المناهج على كلمات المسيح التي قالها بلغته الأصلية (الآرامية) كما ذكرت في إحدى نسخ الإنجيل التي يستخدمها المسيحيون الشرقيين.و يهدف هذا العمل أيضاً إلى إلقاء الضوء على أسباب مكانة المسيح الخاصة في القرآن, بالإضافة إلى إتاحة الفرصة أمام المسيحيين والمسلمين للدخول في حوار أكثر عمقاً حول جذورهم المشتركة الماثلة في رسالة الحكمة التي قدمها المسيح بنفسه. وإذا ما توافر لدينا الوقت الكافي, ستتضمن الكلمة عرضاً للممارسات الروحية العامة المتعلقة بطبيعة الأخوة ,بهدف اكتساب خبرة حقيقية أكثر عمقاً حول الحكمة الفطرية للمسيح.

الخلاصة:

يعطي القرآن الكريم مكانة خاصة لنبي الله عيسى- الذي كان يتحدث باللغة الآرامية- كما أنه يحظى بمكانة خاصة في الأدب الصوفي, إلا أنه غالباً ما يتم إغفال الحكمة الحقيقية لهذا الرسول, حيث يفترض أنها قد طمست عبر قرون من الامتزاج الثقافي وما طرأ خلالها من تغيير على الكتب المسيحية المقدسة نفسها.

ويعطي القران للمسيح ألقابا تحتوي على تكريم أكثر مما حظي به أي نبي أخر سبقه.فقد ذكر في 15 سورة و93 آية,و يقترن ذكره دائماً بالتبجيل كما أنه لم يوجه إليه أدنى قدر من النقد.(باريندر1995).

ولاكتساب المزيد من المعلومات المتعلقة بذلك, يمكنكم الرجوع إلى الكتاب الرائع الذي كتبه جيوفري باريندر," المسيح في القرآن".

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره؛ فقد استفاض القرآن في ذكر ميلاد المسيح, كما توجد سورة مخصصة لوالدته السيدة مريم.ويؤكد القرآن على أن المسيح كان معالجاً عظيماً للمرضى وأنه قد أوتي الإنجيل الذي يمنح "الهدى والنور" ومصدقاً للتوراة. ولا يعيد القرآن ذكر هذه التعاليم, ولكنه يذكر أنه لم يتم الاستماع إليها بشكل جيد, كما لم يتم تقديرها كما يجب.

وفي عمله المتعلق بعلم البيئة الروحي– الإنسان والطبيعة (1968), ذكر د.سعيد حسين نصر الصعوبات الناجمة عن الاستماع إلى هذه التعاليم بطريقة شرق أوسطية. وقد ناقش في هذا العمل الطريقة التي تم بها ترجمة تعاليم المسيح إلى الثقافة الأوروبية ونقلها من اللغة التي قيلت بها وطريقة النظر إلى الأمور المصاحبة لها والبيئة التي تشكلت فيها, الأمر الذي ما أوجد فجوة واسعة بين الإنسانية والطبيعة والله, كما ورد في (صــ100)

وفي الكنيسة الغربية, وعلى نحو تدريجي, ازداد التأكيد على الخاصية الانتقائية للخلاص.وتم تفسير الطبيعة العذراء والبرية بأنها ميدان للصراع والخلاف بدلاً من السلام والتأمل.

وحتى عندما حدث التوسع الجغرافي في عصر النهضة الأوروبية وتم إخضاع العالم الجديد, كانت هذه هي الفكرة الرئيسية في عقول من قاموا بذلك. ومع ذلك فقد تم التأكيد على الرؤية التأملية للطبيعة في الكنيسة الشرقية وجعلت أكثر مركزية. وقد اعتبرت الطبيعة داعماً للحياة الروحية وأصبح هناك اعتقاد في أن الطبيعة كلها تشارك في الخلاص وأن المسيح سيقوم عند مجيئه الثاني بتجديد الكون وبناءه من جديد.

وبناء على ما اقترحه د. نصر, فالأمر لا يتعلق بإمكانية إثراء المسيحية فقط, ولكن أيضاً بإمكانية قيامها بمعالجة الفجوات الموجودة في علاقتها بالطبيعة, وذلك عن طريق العودة إلى الرؤية الشرق أوسطية للمسيح, وباستخدام علم النفس والعلم الكوني والمناهج التفسيرية المتعلقين بالشرق الأوسط

ولقد كانت إحدى الطرق التي حاولت من خلالها تقديم المساعدة في عمليات الحوار وإحياء حكمة النبي عيسى هي محاولة فهم كلماته من خلال لغته الأصلية-الآرامية- عن طريق إحدى النسخ التي يستخدمها المسيحيون المتحدثون بالآرامية على نحو تقليدي.وذلك برغم أنه -بطبيعة الحال- يوجد اختلاف بين علماء الكنيسة الغربية والشرقية حول مدى قدم هذه النسخة, ولكن تبقى النقطة الرئيسية الخاضعة للتفسير هي: إذا ما كان المسيح قد قال أي مما نسب إليه في الأناجيل المقبولة (أو في غيرها), فقد قال ذلك باللغة الآرامية. ويتيح لنا ذلك استخدام المناهج التفسيرية الشرق أوسطية (كالميدراس في التقاليد اليهودية والتأويل في الاسلام) لفهم كلماته, وهو ما قد فعلته في خمسة من كتبي, صلوات كونية (1990), حكمة الصحراء(1995), الإنجيل المخفي(1999), تأملات في سفر التكوين (2003), بركات كونية (2006)

وباختصار,سنذكر فيما يلي بعض الاختلافات بين الطريقة الغربية والطريقة الشرق أوسطية لرؤية بعض المواضيع والكلمات الرئيسية الخاصة بالمسيح. (سيتم تلخيص هذا الجزء من الكلمة, كما سيتم تزويدكم ببعض الأمثلة المعطاة في الأناجيل)

- اسم الله: بالآرامية "الاها", يرتبط بالأسماء الإلهية السابقة في اللغات السامية (*ايلوهيم, ايلوها,ايلات*)حيث تعني كافة جذور هذه الكلمات "الوحدة" أو "الجوهر الواحد" وترتبط جميعها مباشرة بالكلمة العربية" *" الله*".
- تنفس: تعني" *روحا*" بالارامية "تنفس" أو "روح".وتوجد ثمة أمثلة على ذلك في تعاليم المسيح في الأناجيل ("الخطيئة في حق النَفَس المقدس", "فقير في التنفس", "الوحدة المقدسة هي النَفَس")
- ضمن/بين: حرف الجر بـ-حرف جر واحد لكلتي العلاقتين, وهو أمر بالغ الأهمية لفهم تعاليم المسيح باللغة الآرامية:أمثلة على ذلك "الإيمان بالمسيح أو الإيمان بواسطة/مثل المسيح.
- الخير/الشر: *طوب/بيشا*. ملائم وغير ملائم بدلاً من الأفكار التصنيفية عن الصواب والخطأ فيما يخص الاعتقاد. ويتم ضرب أمثلة على ذلك.
- التعبير "بالأنا": إعادة بناء الوصلة إنانا الخاصة (بالأنا الصغرى) (*نفسا في الآرامية*) بالأنا الواحد (اللاها *في الآرامية*). ترتبط بالأقوال الصادرة عن طريق الحكمة المقدسة وحول هذه الحكمة والتي وردت في النصوص العبرية المقدسة (الأمثال)
- القيام بإنشاد صلاة المسيح (صلاة الرب) باللغة الآرامية.

- ولقد كان معلمي, المرشد صموئيل.ل.لويس, الصوفي أحمد مراد شستي, يكن اهتماما بالغاً بفهم السيد المسيح عن طريق الآرامية على الرغم من انه لم يتمكن من ممارسة ذلك أثناء حياته على الأرض.وقد ذكر في إحدى أوراقه أنه يمكن ممارسة "التصور" من خلال القيام بالذكر في تناغم مع السيد المسيح, وهو ما يمكن تحقيقه من خلال التركيز على صلاة المسيح باللغة الآرامية.وأنا أرغب في أن أشرككم في أحد أجزاء هذه الممارسة بشكل موجز بهدف تذكر وحدتنا مع الجوهر الواحد وهو ما يعد هدفاً من الذكر بشكل عام. .وعندما نقوم بإنشاد كلمات المسيح, فإن ذلك لا يعني أننا نعبده, فهو لم يطلب ذلك منا أبداً, وإنما نقوم باستخدام هذه الكلمات كمدخل أخر لتذكر وحدتنا ومساعدة البشر على تناول طرقهم الروحية المختلفة بشكل أكثر عمقاً والاستماع إلى أنبيائهم بصدق, بالإضافة إلى تذكر الواحد الأحد الذي هو فوق كل الأسماء والصور.كما يذكر القرآن الكريم:
- (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ) (سورة يونس, الآية 48)
- (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً) سورة الحج, الآية 34
- (إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) سورة الرعد, الآية 8